تيمور لنك وآثارهُ السياسية والعسكرية في توحيد الامبراطورية المغولية

أ .د إسراء مهدي مزبان م.د شيماء بدر عبد الله
كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة واسط

المقدمة:

يعتبر موضوع هذا البحث من الموضوعات المهمة في التاريخ لما لشخصية تيمورلنك من دور كبير في تغيير الاحداث التاريخية وتأسيس امبراطورية كبيرة فيعتبر ((تيمورلنك)) هو فاتح مغولي مسلم ينتمي الى الاسر النبيلة في بلاد ماوراء النهر وكذلك هو أحد اعظم الفاتحين في التاريخ واشدهم قسوة وظهر هذا القائد المغولي في القرن الرابع عشر الميلادي ليجدد افعال اجداده من المغول واستطاع ان يهيمن على القسم الاكبر من العالم الاسلامي.

يقسم البحث الى فصلين الفصل الاول قسم الى بحثين فقد تناول المبحث الاول نشأة تيمورلنك واهله وولادته والبيئة التي نشأ فيها والقبائل المغولية والتركية التي ينتمي اليها واما المبحث الثاني فقد بحث في بداية ظهوره على المسرح السياسي واختياره سلطانا للمغول وتوسيع ملكه لغزو بلاد فارس والعراق وصراعه مع القبيلة الذهبية ، اما الفصل الثاني قسم ايضا الى مبحثين المبحث الاول فقد درس المبحث الاول استكمال توسيع تيمورلنك لامبراطوريته جهة الشرق لغزو بلاد الشرق وبلاد الهند وصراعه مع الدولة العثمانية ولقد تناول المبحث الثاني نهاية تيمورلنك ووفاته وتفكك امبراطوريته بعد وفاته.

ثم ختمنا البحث بخاتمة فيها اهم النتائج التي تم التوصل اليها من خلال الكتابة عن هذه الشخصية . ومن اهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث هو كتاب تيمورلنك على صهوة جواد وتاريخ المغول وسقوط بغداد ومغول القبيلة الذهبية والهند.

المبحث الاول

- نشأة تيمورلنك -

أصله وولادته: يرجع اصل تيمورلنك الى قبيلة البرلاس التركية ، وقد دعم احد اجداده جنكيز خان فأحبه وجعله وصياً على أبنه جفناي فبرز بين المغول وقد ولد تيمورلنك في بلدة كش[١].

في سنة ١٣٣٦ – ٧٣٦هـ كانت ولادته في قرية خواجه بالقرب من مدينة سمرقند وهو حفيد قراشور نوبات وزير جفتاي الابن الثاني لجنكيز خان ، واطلق عليه لقب (كركان) ومعناه حصر الملوك ، واصل اسمه (تمر) ثم اضيف له (لنك) ومعناها الاعرج[٢].

وان امه من دزية جنكيز خان ، وكان ابوتيمورلنك وزير عند السلطان حسين صاحب مدينة بلخ وولى تيمورلنك مكانه بعد موته عند السلطان حسين. واول ما عرف عنه انه كان يرتكب الجرائم فسرق في بعض الليالي غنمه فضربه الراعي بسهم واصابه فعمل فيه جرح في فخذه حتى عرج منه لهذا سمي تيمورلنك بهذا الاسم اي تيمور الاعرج وبعدها اخذ في ارتكاب السرقات وقطع الطريق واتجه الى قتل الملوك وامتلاك اراضيهم حتى وصل الى الملك[٣].

- البيئة التي نشأ فيها تيمورلنك-

ان طبيعة البيئة التي عاش فيها تيمورلنك والتي أثرت على شخصيته تمثلت من خلال مساكن المغول الذين كانوا يسكنون في المناطق القريبة من الغابات وكانوا يصنعون اكواخهم من الخشب

وفروع الاشجار ، اما في منطق السهوب يقيمون خيامهم من الصوف او العباد ويراعى فيها ان تكون على شكل قباب قوية بحيث تقاوم الرياح ، وكانوا يضربون خيامهم في مناطق الاعشاب التي تكفل لهم الحصول على قوتهم بسهولة واذا وجدوا الارض غير صالحة للاستغلال طرو خيامهم ونقلوها على ظهور الابل واستمروا في سيرهم حتى اذا صادفتهم ارض خصبة ضربوا بسواقيها خيمهم هكذا كانت حياتهم تقوم على رحلات الشتاء والصيف(٤).

واحتفظ المغول بديانتهم وعاداتهم الاولى التي هي من اهم مميزاتهم البارزة فقد كانت حياتهم رعوية ونظامهم قبلي مع الطاعة لرؤسائهم وحبهم للحرب والسلب والنهب ، وكانوا لا يحرمون شيئاً بل إباحيين ويعبدون ارواح اجدادهم القدامى التي يعتبرونها ذات سلطان عظيم ، ويلجئون الى القسين اي السحرة والشامان ورجال الحكمة ولم تكن ديانتهم من ضمن الاديان التي تستطيع مقاومة الاديان الكثيرة التي تحيط بهم من اليهودية والمسيحية والاسلام ، وكانت ملابسهم بسيطة لا فرق كبير بين ملابس الرجال والنساء يتغذى المغول على لحوم الحيوانات على اختلافها وغذائهم قليل وخاصة في الشتاء اذ تقسوا عليهم الطبيعة(٥).

القبائل المغولية والتركية التي ينتمي اليها تيمورلنك وحقيقة إنتسابه الى جنكيز خان

أصل تيمورلنك القبائل المغولية التي هي جزء من القومية التركية وأصول المغول التي ينتسب اليها تيمورلنك فهم شعب بدوي ينقسم الى عدد من الطوائف و القبائل تسكن اقليم منغوليا وهو جزء من هضبة اسيا المركزية الشرقية ، ومن اشهر هذه القبائل هي قبيلة قيات وهي قبيلة جنكيز خان ، وكانت صغيرة العدد غير متشعبة ، وقد ولد فيها مؤسس الامبراطورية المغولية وكانت تدين بالوثنية

وايضا قبيلة اديرات الذين يقيمون في المنطقة الواقعة بين نهاوتن والبحيرة بالجبال ويسكنون مناطق المنابع ، وكانوا يتكلمون بلغة تختلف عن لغة الطوائف المغولية الاخرى(٦).

وايضاً هناك قبيلة النايمان من قبائل الاتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولي وهم يقطنون الحوض الاعلى لهذا منحدرات جبال التاي ، ويدينون بالمسيحية ولكنهم كانوا في نزاع وشقاق مع القبائل الاخرى وقد استعار التايمان مبادئ ثقافتهم من الايغوريين جيرانهم في الجنوب وهم من البدو الرحل ولهم ملوك مشهورين واقوياء ويطلق على ملوكهم اسم (كوشلوك خان) وقبيلة اخرى هي مركيت ويطلق عليها ايضا مكريت وهم يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرايت على مجرى نهر سلنجا وكان لهم جيش قوي ذو بأس شديد في الحروب ويميلون من جنس المغول وعرف عنهم بميلهم الى الشغب واثارة الفتن ، على الرغم من انهم من جنس المغول الا انهم قاموا بعدة حروب ضد جنكيز خان(٧).

وايضا قبيلة الكرايت التي احتلت مملكتها المنطقة الممتدة من نهر ارضون وجبال كفتاي حتى سور الصين كان للكرايت التفوق والغلبة على سائر العناصر المغولية وتحولوا الى المسيحية على يد أسقف منغوري مقيم في مرود وكان طغرل اشهر ملوكهم تغلب على عمه الذي كان ينافسه على العرش وهزم التتار(٨).

ومن القبائل الاخرى هي التتار الذين كانوا أشد الجنس الاصفر بطشاً في اقاليم اسيا الشمالية وكانوا اكثر قبائل البلاد رفاهية اثرياء وانهم قبائل متنقلة عن المغول ولكن من الغريب انه على اثر انتصار جنكيز خان على التتار اطلق اسمهم عليه وعلى اتباعه كذلك عرف المغول الذين فتحوا الصين باسم التتر ، هناك الاتراك الاويغيريون الذين سكنوا شمال شرق تركمنستان واسم ايغور كلمة

تركية بمعنى الارتباط والتعاون وعاشوا تحت امرة الاوغور حتى سنة ٧٤٥م حيث انتقل اليهم الحكم وتلقب القراحطائيون الذين كونوا دولة كبيرة قبيل الغزو المغولي واصل هؤلاء من الخطا النازحين من شمال الصين تلقبوا بلقب (قلنمان) خاصة اميرهم وورد اسمهم في المراجع الصينية منذ القرن منذ القرن الرابع الميلادي قبل ظهور الاسلام بزمن طويل[٩].

بداية ظهوره على المسرح السياسي

إختياره سلطانا للمغول

بعد مقتل الامير حسين وصهر تيمورلنك الذي كان يمثل الطبقة الحاكمة المغولية وهو حفيد صانع الملوك اصبح الطريق ممهد امام تيمورلنك كي يعتلي عرش الخان ولم يتبقى الا عقبة واحدة امامه وهي قانون جتكيز خان الذي يقضي بان يكون الخان الاعظم للنيل من نسل جنكيز خان من زوجته الاولى ، الا ان هذا الشرط يمكن حله بوضع احد احفاد جنكيز خان كخان صوري ويكون تيمورلنك اميراً فعلياً ، وهذا ماحدث بالفعل بحيث دعا تيمورلنك المجلس العام لرؤساء القبائل المغولية المسمى (كوريلتاي) واسرع الاعضاء للحضور وقد طالب رؤساء البلاد بان يكون الخان رئيس البلاد من ذرية جنكيزخان.

ويكون تيمورلنك نائباً له ولكن الناسك أبا السعادات تكلم بأسم رجال الدين وقد رأى بأن تيمورلنك هو رجل الساعة والقادر على توحيد الصفوف واعادة الاستقرار للبلاد بعد ان سادها الفوضى بالاضافة الى ان الفرسان والمقاتلين المغول رأوا أنه لابديل عن أختيار تيمورلنك سلطاناً عليهم وبايعوه وأجلسوه على عرش اللباد الابيض[١٠].

وتسلم بذلك تيمورلنك مقاليد الامور كلها واضحى سيد بلاده ولكنه لم يتخذ لقب سلطان واكتفى بلقب بيك ، حتى لا يؤلب عليه الحضاتئين فأضحى بذلك الحاكم المستبد ببلاد لما وراء النهر ثم وضع التاج على رأسه ونصب بود غاتيس خاناً ، الا انه كان ألعوبة في يده هكذا قامت الدولة التيمورية(١١).

تيمورلنك يوسع ملكه من خلال العديد من الغزوات

-غزو بلاد فارس-

كانت منطقة خراسان التي يحكمها الكرات من اكبر المدن الايرانية القديمة وهي التي بدأ بغزوها تيمورلنك عام ١٣٧١م حيث البلاد الايرانية فتوجه الى سرخص فسارع حاكمها محمد الذي يستطيع التعدي لتيمورلنك فقدم فروض الولاء والطاعة له ثم في ١٣٨١م قام باحتلال مدينة هداة دون قتال ثم تحرك الى منطقة خراسان الغربية فدخل مدينة كيلات دون قتال حيث استسلم له حاكمها ثم مدينة حواس وخضعت له دون قتال ايضاً ودخل حاكمها في طاعته ثم نوغل الى خراسان الغربية واحتل سفرائين واتجه نحو قلعة ترشيز وافتتحها.

ثم اتجه الى الشمال فغزا المنطقة التي يحكمها شاه رلي وعاث فيها فساداً وتوجه الى سستان وحدثت معركة (زاريخ) بين تيمور واهلها وانهزموا فيها وتحصنوا داخل المدينة فاقتحم تيمورلنك اسوار المدينة ثم أمر بقتل سكانها جميعاً وأخذ حاكمها اسيراً وبذلك سيطر على المنطقة وبعد ثلاثة اشهر عاد تيمورلنك للتحرك نحو مقاطعة مازندان للقضاء على حاكمها ، وكان شاه ولي قد حشد قواته واستعد للمواجهة مع جيش تيمورلنك(١٢).

ثم دارت المعركة الطاحنة بين الطرفين انتصر فيها تيمورلنك وهزم شاه ولي واستطاع تيمورلنك في هذا الاجتياح من السيطرة على لاسيتان مما ساعده على القضاء على دولة الجلائريين حكام الشمال الغربي الايراني وارسل حكام لورسيتان الى عاصمته سمرقند ، وكذلك احتل تبريز وقضى فيها عام ١٢٨٧م ثم قام بغزو جورجيا وتوجه ايضاً الى اصفهان واحدث فيها مذبحة قتل تسعين من المكان وسبعين الفاً وبعدها توجه الى شيراز وهرب حاكمها امامه وبذلك استطاع من اخضاع الدولة المغولية التي تضم فارس وخوارزم والدولة الجلائرية[١٣].

غزو العراق

من أخطر الاحداث التي واجهها الحكام الجلائريين على الاطلاق كانت مواجهة كارثة الغزو التيتوري في عهد السلطان الجلائري اديس التي تمكن من خلالها تيمورلنك من احتلال بغداد مرتين كانت الاولى ١٣٣٩م وكانت المرة الثانية عام ١٤٠٠م وفي كلتا الحالتين لم يحاول السلطان احمد ابن اديس مواجهة قوى الغزو التيموري مواجهة حاسمة بل التجأ الى المماليك في عهد السلطان برقوق أبان المحنة الاولى في حين ألتجأ أبان المحنة الثانية بالعثمانيين في عهد السلطان بايزيد الاول الذي دعاه مع حليفه ترايومن التركماني محاولة قصد منها توحيد الجهود ضد تيمورلنك وربما التمهيد لسحب وخوض معركة في قلب الاناضول تكون هزيمته فيها أمراً سهلاً ليس من الصعوبة تحقيقه[١٤].

بالنسبة للمرة الاولى لاحتلال العراق في سنة ٧٩٥ هـ فأن تيمورلنك بعد قيامه بأكتساح فارس وقتل حاكمها شاه منصور وبعث برأسه الى بغداد وذلك بعث الخلع والسكة الى احمد وطمأنه بأنه لن يغير على بلاده ، وأنه يطلب سوى السكة بأسمه في بغداد فلبس احمد الخلع ونفذ مطالب تيمورلنك ولم يشعر احمد الا وتيمورلنك يقترب من بغداد فاسرع احمد الى الرحيل منها فتقدم تيمور لنك وحاصر

بغداد واستمر الحصار شهرين بعد ذلك دخلها وقتل اكثر شكانها وخربها بعد ذلك ارسل تيمورلنك ابنه ميران لأتباع أثر احمد ان ينجو بنفسه الى السلطان البرقوق بعدها ارسل تيمورلنك رسالة الى برقوق مع هدايا وحينما وصلت البعثة الى الرحبة أمر متولي الناحية ان يرسل الى السلطانه يستأذنه في تمكينهم من الدخول أمر السلطان بالقبض عليهم وارسل الكتاب اليه وجد ان الكتاب فيه تهديد وطلب بطرد احمد ولكن السلطان أمر بقتل رسل تيمورلنك وأعلن عدائه الصريح له(١٥).

بعدها وجد تيمورلنك ان بقاءه في بغداد يعرض قواته لخسارة كبيرة بسبب قلة المؤنة فيها ولذلك توجه نحو الشمال الغربي فاستولى على ماردين ثم أرمينيا وحينما وصلت هذه الاخبار لقاهرة اسرع السلطان برقوق باعداد جيش ضخم لمحاربة تيمورلنك لكن تيمورلنك وجد ان الظروف غير ملائمة للدخول في معركة مع السلطان لاسيما وان طقمش هاجم بلادة واخطر للاشتباك معه. زحف نحو الهند وترك بغداد تحت حكم ابنه ميران ، اما برقوق على الرغم من علمه برحيل تيمورلنك لكنه استمر بالتقدم حتى وصل دمشق سنة ٧٩٦هـ وكتب السلطان لاحمد تقليداً بالنيابة السلطة في بغداد فقاد احمد جيش وتوجه الى بغداد وتمكن من هزيمة ميران واستعاد بغداد.

لكن تيمرلنك على الرغم من انشغاله بغزواته الا انه ارسل رسل الى برقوق يطلب فيه اطلاق سراح قريبه اطمش ولكن برقوق امر اطمش ان يكتب لتيمورلنك كتابا يبين فيه ماهو عليه من خير وكتب برقوق انه لن يطلق من عنده من جهة تيمورلنك الا اذا اطلق تيمورلنك من هم عنده من جهة برقوق لكن بعد ذلك توفي برقوق فوصلت الانباء لتيمورلنك فاتخذ من مسألة اكمش حجة للاشتباك مع السلطان فرج ففي سنة ٨٠٢هـ بدأ انشاء المرحلة الثانية من الاحتلال التيموري لبغداد حيث عاد من الهند وارسل كتاب الى بايزيد الاول يطلب منه ان يقف محايداً في هذه الحروب لكن يايزيد رد عليه

بكتاب شديد اللهجة فادرك تيمورلنك انه لا فائدة من محاولة الالتفاف مع بايزيد فتقدم تيمورلنك واستولى على بغداد للمرة الثانية.

اما السلطان احمد وحليفه ترايوسف فأنهما أتجها غرباً لائذين بالسلطان المملوكي فكتب الى نائب دمشق بقتلهما فاضطرا الى الالتجاء الى السلطان بايزيد الذي اكرمهما مما اثار حفيظة تيمور لنك مما جعله يتقدم نحو بلاد السلطنة العثمانية(١٦).

صراع تيمورلنك مع القبيلة الذهبية

بعد الانتشار الكبير لتيمورلنك بسيطرته عى خراسان وسجستان وايران والعراق واذربيجان وسيطرته على اقاليم الحزنيكون قد جاورا اراضي القبيلة الذهبية وكان تيمورلنك يطمع في اخضاع هذه البلاد الى سلطته فقد تضاءلت فرص التفاهم بينه وبين توقتاميش كما ازداد الخلاف بينهما وحد توقتاميش بلاد القجاق وبدأ الاحتكاك الاول في عام ٧١٧هـ حيث ارسل توقتاميش جيش الى تبريز فحاصرها لمدة اسبوع كما حرض حاكم خوارزم على القيام بثورة ضد تيمورلنك ذلك تحدياً له لانه كان يعد المدينة من املاكه وكذلك بسبب نكران الجميل من قبل توقتاميش الذي اعتلى عرش خانية القبيلة الذهبية بمساعدة تيمورلنك فاستغل تيمورلنك هذه الحملة على تبريز واتخذها ذريعة لشن الحروب ، فخرج من سمرقند الى ايران والقبيلة الذهبية(١٧).

بعدها حدث اشتباك بين ميران بن تيمورلنك وبعض حاميات الحدود أسفر عن انتصار ميران وأسر عدد منهم لكن تيمورلنك اطلق سراحهم وحملهم رسالة عتاب شخصية الى توقتاميش ، بعد ذلك حدث تحالف ضد تيمورلنك حيث تحالف خصومه ضده وجرت محادثات بين

حاكم كاشغز وتوقتاميش فعقدوا اتفاق للوقوف في وجه تيمورلنك فعبر نهر بيعون والتقوا بالجيش المغولي ودارت معركة بين الطرفين اسفرت عن انتصار الجيش المغولي وفر عمر الشيخ هارباً فتوجه قسم من الجيش المغولي الى خوارزم واستولى عليها(١٨).

بعد سماع تيمورلنك بذلك توجه الى سمرقند لادارة الحرب قرأى توقتاميش عليه تجنب خوض معركة مع تيمورلنك فأنسحب من المنطقة واحرق قبل عودته سراي تيمورلنك بسمرقند ، استعاد تيمورلنك خوارزم وعندما علم الخان قرر الانتقام من تيمورلنك فجهز تيمورلنك جيش جرار لملاقاته وانضم اليه ابنه عمر الشيخ ليأخذ بثأره فتوجه بجيشه لكنهم فروا امامه، عاد تيمورلنك بعد هذه المعركة الى سمرقند(١٩).

وفي عام ٧٩١هـ توجه الى بلاد قجاق واصطدم بقوة مغولية لكنهم فروا امامه واستمر تيمورلنك بمطاردة توقتاميش وكان القتال لسيجا بعدها حدثت معركة كوندر شانكن قبل خوض المعركة ارسل تيمور ابنه عمر الشيخ لاستطلاع احوال العدو فرأى العدو وهو يعسكر في بلدة كوندورشا فأخبر أباه بذلك ، فأمر تيمورلنك بمواجهة الجيش وعبأ كل الطرق بقواته استعداداً للاشتباك الذي حدث في ١٥ رجب فهاجمت مسيرة تيمورلنك مسيرة توقتاميش واجبرتها على التقهقر ، بعدها حدثت فجوة في الجبهة التيمورية فاندفع توقتاميش وتوغل حتى مؤخرة القلب ولكن تيمورلنك حطم جناحه الايمن فذعر الخان المغولي من هذا الهجوم فخرج من ساحة المعركة وسقطت راية القبيلة الذهبية فانتهت المعركة في بدايتها.

رأى توقتاميش انه يقوي جبهته بالتحالف مع المماليك في مصر لكن تيمورلنك علم بالمباحثات التي جرت بين الطرفين فنقل عملياته العسكرية الى الشمال لكن مسألة اذربيجان هي التي فجرت

الموقف ، أصر توقتاميش على انتزاعها من تيمورلنك عبرت قواته دربند عام ٧٩٧ هـ فتقدمت لها القوات التي ارسلها تيمور ، ولما وصل تيمورلنك الى نهر كرني شروان لاذ توقتاميش بالفرار بعد ان استكمل تيمورلنك استعداداته توجه نحو الشمال والتقى توقتاميش الذي كان بانتظاره ودارت معركة ضاربة ، لكن لم يسبق لتيمورلنك ان تعرض في اي معركة لهزيمة كما تعرض في هذه المعركة لكن نتيجة ثبات جنوده والخسائر التي تكبدتها قوات توقتاميش رأى توقتاميش ان الفرار هو المخرج للخلاص.

بعدها أضحت بلاد القبيلة الذهبية تحت حكم تيمورلنك مع ابنه ميرات شاه الذي تابع اجتياح الجناح الغربي لدولة القبيلة الذهبية فاضحى تيمورلنك بعد هذا الاجتياح مطمئناً على بلاد ماوراء النهر من ناحية المنطقة الساحلية اليسرى لبلاد اقبيلة الذهبية وبقي عليه ان يقسم المنطقة الساحلية اليسرى لاستكمال خطته وبذلك استطاع استكمال اخضاع الدولة[٢٠].

تيمورلنك يستكمل توسيع امبراطوريته جهة الشرق

-غزو بلاد الهند-

كان تيمورلنك قد بلغ الستين عاماً ، لكن هذا لم يوهن من عزيمته في مواصلة الغزو والفتح ، ولم يركن الى الراحة والخلود الى ماحققه من قسوة ونفوذ ، والتمتع بمباهج الجاه والسلطة ، فعزم على غزو الهند متذرعاً بأن التغلقين يتاصلون مع الهند في امر الاسلام وانقض بجيشه الجرار على قوات محمود تغلق في ٧ من ربيع ول ٨٠١ هـ – ١٧ من ديسمبر ١٣٩٧م وأنزل به هزيمة ساحقة واحتل (دلهي) عاصمة دولة (آل تغلق) مما حل بها من خراب الا بعد قرن ونصف القرن من الزمان[٢١].

بعد ان سيطر تيمورلنك على دلهي بانتصاره على الافغان في معركة باينبوت فقد نودي به امبراطوراً على هندستان في مسجد دلهي عام ١٥٢٦م ، وقد جعل تيمورلنك احتقار للهند ، فقد جاء الهند لعدم وجود شئ آخر احسن منها حيث لا مقاومة ولامن يقف بوجهه ووجه الهنود لا كفاءة لهم ولا اساليب ولا طرق معينة للقتال ولاخيول عندهم ، ففرض عليهم الرسوم والضرائب الكثيرة وخاصة على مزاراتهم واماكن الحج عندهم ، كان من الطبيعي ان يعمل الهنود له كل الحقد والاحتقار ويغزو بلاد الهند فقد حصل على غنائم وفيرة ، فعند عودته الى سمرقند كان معه سبعون فيلاً محمل بالاحجار والرخام التي تحضرها من دلهي ليبني فيها مسجداً في سمرقند(٢٢).

أحتلال بلاد الشام

في عهد السلطان برقوق حضر بنيه هولاكو تيمورلنك وقد وردت عنه انباء الى اسماع المصريين في عام ٧٨٥هـ أذ أرسل اليهم صاحب ماردين رسولاً بينما السلطان ان خاجيا من التتار يقال له تيمورلنك استولى على البلاد وبلغ تبريز وخربها فارسل السلطان طغاي لمعرفة اخبار هذا الطاغية فعاد اليه عاد ٧٨٩هـ واخبره ان تيمورلنك قد وصلت طلائعه الى الرها وانهزمت امامه جنوداً قرأ محمد امير التركمان ، ان عسكره وصل الى ملطيه فأخذ يعد العدة السلطان للقتال غير انه قعد عن عزمه عندما علم ان تيمورلنك استحب اكل بلاده ، ولكن عام ٧٩٩هـ ارسل تيمورلنك الى برقوق رسول يطلب منه اطلاق سراح احد اقربائه اطمش ، ولكن برقوق اشترط اطلاق ماهم عنده في بلاطه اولاً واتخذ تيمور لنك ذلك ذريعة لمهاجمة بلاد المسلمين(٢٣).

وكان ذلك في عهد السلطان فرج لذي لم يتمكن من ترتيب اموره عندما وصل تيمورلنك الى مدينة حلب وكات معه الجموع قليلة بلغ تعدادها السبعة الاف مقاتل هارباً من قوات بغداد واشتبك

نائب حلب الامير مرداش المحمدي وبقية عساكره وكانت بينهم وقفة عظيمة ، فأنكسر العسكر الحلبي وتفرق شملهم بعد أسر جماعة من الامراء منه ، ٨٠٢هـ ثم اصبح الطريق مفتوح امام تيمور لنك لاجتياح ماتبقى من بلاد الشام ، استولى بعدها على مدينة الهينا سنة ٨٠٣هـ وضربت السكة باسمه واقيمت الخطبة باسمه واستولى على مدينة عنتاب بعد ان فر نائبها واستطاع ايقاع الهزيمة النكراء بجيش مدينة حلب ثم رحل عنها وتركها خاوية على عروشها بعد ان اقام فيها شهر[٢٤].

توجه بعدها الى دمشق فمر بمدينة حماة وكانت قد اخذها ابنه ميران لذي نزل فيها سنة ٨٠٣هـ واحاط بها بعساكره بعد ان نهب خارج المدينة وسبى النساء والاطفال وأسر الرجال وأستعد أهل حماة للقتال وأمتنعوا عن تسليم المدينة ولكن تيمور خادعهم ففتحوا باباً من ابواب المدينة ، فدخل مدينة حماة ونادى بالأمان فقدم عليه الناس فقرر ان يقيم عليها رجلاً من اصحابه فقيل له ان الاعيان خرجوا منها ، ثم رحل عنها ووعد الناس بخير مع ذلك فان حماة لم يستلمها بل كان امتنعت عليه بعد ذلك قام اهل القلعة وقتلوا من اصحاب ميران شاه رجلين كان قد اقرهما بالمدينة وعندما علم بذلك رجع اليها واقتحم البلاد وسلب اصحابه المدينة ونهبوها[٢٥].

بعدها توجه تيمورلنك الى دمشق بعد ان سنحت له الفرصة عام ٨٠٤هـ وكان يتولى الدفاع عنها جيش مملوكي قليل العدد وبدون قائد يسانده الاهالي وكانوا بانتظار وصول نجدة السلطان من القاهرة حاول تيمورلنك استغلال الوضع ومهاجمة دمشق لكنه مني بالهزيمة امام صمود الجيش والاهالي وعمد الى الحيلة واظهر رغبة في عقد الصلح فاضطر الاهالي لارسال وفد والاذعان لشروط تيمورلنك مقابل الصلح فدخلت دمشق تحت حماية تيمورلنك فأخذ يجبي منهم الاموال الطائلة ، وعندما أيقن عجزهم نكث عهده وانتشر المغول داخل المدينة فأستبيحت دمشق مدة تسعة اشهر او

ستة عشر يوماً وبذلك تعرضت دمشق لابشع كارثة في تاريخها كما تعرضت بلاد الشام الى ازمة اقتصادية لم تشهد لها مثيل بعد فراغ القرى من السكان وتقهقر الزراعة وتوقف التجارة مع العراق وآسيا(٢٦).

صراع تيمورلنك مع الدولة العثمانية

هناك العديد من العوامل والاسباب التي ساهمت في ايجاد الصراع بين تيمورلنك وبايزيد الاول ، من هذه العوامل هي لجوء أمراء العراق الذين استولى تيمورلنك على بلادهم الى بايزيد ، كما لجأ الى تيمورلنك امراء آسيا الصغرى فكان اللاجئون يحرضون رواية على شن الحرب ضد الطرف الآخر كذلك تشجيع النصارى تيمورلنك ودفعه للقضاء على بايزيد ، وايضا الرسائل النارية التي كانت بين الطرفين ، وبذلك تقدم تيمورلنك بجيوشه واحتل سيواس واباد حاميتها التي يقودها حفرل بن بايزيد(٢٧). فزاد ذلك من تسلط تيمورلنك على املاك الدولة العثمانية يوما بعد يوم فدعاه بايزيد للحرب فحضروا معه عشرين اميراً ومن بينهم امراء شيروان وامير كيلان وامير ديار بكر وكردستان الى انقره واراد اخذ قلعتها ، فوصل السلطان بجيشه الى توقاد في ١٩ ذو الحجة سنة ٨٠٤هـ –٤٠٢م أبتدأ القتال ، فلما (أي العساكر التتر الموجودين في جيش بايزيد ان جيش تيمورلنك مثلهم تتر تركوا بايزيد وانضموا الى تيمورلنك وكانوا خمسين الفاً فانهزم جيش بايزيد ، وايضاً من اسباب الهزيمة اندفاع وعجلة بايزيد فلم يحسن اختيار المكان الذي نزل فيه جيشه ومات الكثير من جنوده عطشاً لقلة الماء وبعدها انشغل الامراء بتخليص اولاده واما هو فلم ينهزم ولم ييأس من النصر بل صمد مع خواص اجاله على ابوه ، واما تيمورلنك فانه ارسل محمود خان من نسل جنكيزخان بفرقة جيش للقبض عهلى بايزيد فلما وصل اليه انكب فرسه فأخذه الى تيمورلنك أسيراً(٢٨).

بعدها اهتم تيمورلنك بالسؤال على اولاد بايزيد فارسل رسلا للبحث عنهم واحضارهم فلم يجد سوى مرسى شلبي، فابتلى بايزيد بعدها بمرض الخفقان وبعد اربعة اشهر من أسره مات ، فارسل تيمورلنك جنازته مع ابنه(٢٩).

فبعد هزيمة بايزيد استولى تيمور لنك على ازنبق وبروسه وغيرها من المدن ثم دك اسوار أزمير ، ثم أعاد تيمورلنك امراء اسيا الصغرى الى املاكهم ، ومن ثم استرجاع الامارات التي ضمها بايزيد لاستقلالها ، كما بذر تسمورلنك الشقاق بين ابناء بايزيد الاول المتنازعين على العرش(٣٠).

نهاية تيمورلنك
-وفاته-

لقد توفي تيمورلنك عام ٨٠٨هـ وهو في طريقه لغزو الصين وقيل انه نشأ على المذهب الشيعي وتبعه في ذلك ابناءه واحفاده وهذا مارسخ المذهب الشيعي في عدة مناطق من ملكه وبالذات بلاد فارس(٣١).

وبوفاة تيمورلنك سنة ١٤٥م انتهى خطره الذي اعاد الى اذهان المشرق العربي الاسلامي صورة الغزو المغولي زمن هولاكو فلا عجب ان يدب الخوف والرعب داخل مصر بعد بلاد الشام لكن وفاته بددت احلامه واعادت الهدوء والكمأنينة الى بلاد الشام وانقذت مصر من اجتياح مغولي قد لا تجد سلطاناً يتصدى له كما حصل في معركة عين جالوت قبل قرن ونصف القرن ، كما توجه تيمورلنك لغزو الصين فكان الجو بارد وثلج ولم تتحمل صحته هذا الجو القارس فأصيب بالحمى التي أودت بحياته وبعد وفاته نقل جثمانه الى سمرقند حيث دفن هناك في ضريحه المعروف بكور امير(٣٢).

تفكك الدولة التيمورية بعد وفاته

لقد تعرضت دولة تيمورلنك بعد وفاته الى تصدع كبير ، فقد انتشرت الحرب الدامية بين ابناء واحفاد المتوفى الى ان استطاع ابنه شاه رخ ان يعيد بناء ماتهدم ويستعيد الكثر من املاك ابيه الضائعة وراد ان يفتح صفحة جديدة مع سلاطين المماليك ، فارسل اليهم السلطان بريساي اكثر من رسالة ويطلب منه كسوة الكعبة المشرفة ، ولكن سلاطين المماليك قابلوا ذلك بالرفض خوفاً من اطماع الشاه في بلاد الحجاز ثم تتالت الرسائل التي بعثها الشاه رخ الى بريساي وبها طلبات قد تكون مستحيلة مثل السماح له بزيارة بيت المقدس او اقامة الخطبة باسمه ، ولكن بريساي أساء الى رسله مما اغضب شاه رخ وحاول تكوين تحالف مضاد له مما دفع السلطان بريساي ان لاطفه وارسل له هدية.

وفي عهد الظاهر بقمق كانت العلاقة بين الطرفين علاقة ودية وإذ وافق عى السماح لشاه رخ بكسوة الكعبة شرط ان تكون الكسوة الداخل وبعد وفاة شاه رخ خلفه لوع بك عام ١٤٤٧م ، ولكن ادلوغ لم يستطع الحفاظ على كرسي الملك اذ سرعان ماحضر له عدد من المنافسون أزاحوه عن العرش بعد ان سحلت عيناه وثم قتل ، فوصل الى العرش ابو سعيد ثم قطع رأسه ايضاً ، فخلفه ابنه حسين وقد طالت فترة حكمه وفي نهاية حكمه وقعت البلاد في فوضى عارمة وبدأ اولاده يشورون عليه[٣٣].

ثم اخذت النزاعات تدب في اواصر الاسرة التيمورية واستحلّ الكثير من اطراف البلاد وخت الاسرة التيمورية تحكم البلاد ماوراء النهر حتى جاء آخر ملوكهم السلطان محمود ، ثم حضر الاوزيك والصفويين وغيرهم وبذلك لم تؤدي توسعات تيمورلنك الا بتفتيت البلاد[٣٤].

وخصت فيها الامارات بشكل واسع وأعاد للاناضول عصر الطوائف وتسبب في توقف فتوحات العثمانيين في اوربا ولم يذق بأسه الشديد الا المسلمون على ارغم من أنه كان مسلماً[٣٥].

الخـاتمة

وفي ختام بحثنا الموسوم (تيمورلنك وآثاره السياسية والعسكرية في الامبراطورية المغولية) فأن من أهم النتائج التي توصل اليه هي:

١- نجح تيمورلنك بعد رحلته الشاقة والطويلة في الوصول الى السلطة واعتلى عرش السلطة المغولية بعد ان اثرت البيئة الطبيعية في حق قدرات وامكانيات تيمورلنك وحولته الى ذلك القائد الذي حكم الامبراطورية المغولية لسنوات طويلة.

٢- تمكن تيمورلنك من خوض غمار حروباً ومعارك طويلة تمكن من خلالها من فرض نفوذ على مساحات واسعة من العالم الاسلامي والاسيوي واثبت في كل تلك الحروب بانه الرجل الاقوى في العالم آنذاك لتولي الحكم المغولي.

٣- اثبت تيمورلنك ان القوى العسكرية وحدها لا تكفي لتحقيق النجاح في حكم البلاد لذلك سعى الى الاهتمم بالهيكلية الادارية ونجح في بناء امبراطورية متكاملة سياسياً وعسكرياً وادارياً.

٤- لم يتسنى لقوة الامبراطورية المغولية ان تنتصر فبعد وفاة تيمورلنك دب الضعف في ارجاء تلك الامبراطورية التي حكمت من قبل حكام ضعفاء حتى تهاوت وآلت الى السقوط ومع وفاة تيمورلنك تداعيت امجاد الامبراطورية المغولية

الهوامش والتعليقات

(١) السرجاني ، الموسوعة الميسرة ، ج٢ ، ص٧٦.

(٢) بخيت ، تاريخ المغول ، ص٤٥٢.

(٣) عاشور، الجهاد الاسلامي ، ص٣٣٩.

(٤) الصياد ، المغول في التاريخ ، ص ٣٣٢- ٣٣٥.

(٥) حسن ، تاريخ الاسلام ، ص١٣٣.

(٦) عبد الحكيم ، تيمورلنك على صهوة جواد ، ص ٥٤- ٧٥.

(٧) الصياد ، المغول في التاريخ ، ص٢٧- ٢٩.

(٨) العريني ، المغول ، ص١٠-١١.

(٩) عبد الحكيم ، تيمورلنك على صهوة جواد ، ص٥١- ٦٠.

(١٠) عبد الحكيم ، تيمورلنك على صهوة جواد ، ص١١٨- ١١٩.

(١١) طقوش ، مغول القبيلة الذهبية والهند ، ص١٠١.

(١٢) عبد الحكيم ، تيمورلنك على صهوة جواد ، ص١٢٦ – ١٢٧.

(١٣) المرجع نفسه ، ١٢٩.

(١٤) الجواهري ، صراع القوى السياسية ، ص٢٤ – ٢٥.

(١٥) عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية ، ص١٢٣- ١٢٤.

(١٦) عبد السيد ، قيام دولة المماليك الثانية ، ص١٢٧ – ١٣٢.

(١٧) طقوش ، مغول القبيلة الذهبية والهند ، ص ١٠٢.

(١٨) المرجع نفسه.

(١٩) طقوش ، مغول القبيلة الذهبية والهند ، ص ١٠٢- ١٠٨.

(٢٠) طقوش ، مغول القبيلة الذهبية والهند ، ص ١٠٩- ١١٣.

(٢١) http:wwwkuwaltshr.com/rb/showthreadphp?=16622

(٢٢) موسنيه ، تاريخ الحضارات ، ص ٥٨٢- ٥٨٣.

([٢٣]) سليم ، عصر سلاطين المماليك ، ص٢٨١ – ٢٨٢.

([٢٤]) بخيت ، تاريخ المغول ، ص٤١١– ٤١٢.

([٢٥]) عاشور ، الجهاد الاسلامي ، ص٣٤٥– ٣٤٦.

([٢٦]) شبارو ، السلاطين في المشرق العربي ، ص٩٨– ٩٩.

([٢٧]) الصلابي ، الدولة العثمانية ، ص٨٤.

([٢٨]) حليم ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص٧٣– ٧٤.

([٢٩]) المرجع نفسه ، ص٨٤.

([٣٠]) الصلابي ، الدولة العثمانية ، ص٧٤.

([٣١]) المرجاني ، الموسوعة الميسرة ، ج٢ ، ص٧٩.

([٣٢]) سبارو ، السلاطين في المشرق العربي ، ص٩٩–١٠٠.

([٣٣]) بخيت ، تاريخ المغول ، وسقوط بغداد ، ص٤٢٢– ٤٢٣.

([٣٤]) المرجاني ، الموسوعة الميسرة ، ج٢ ، ص ٩٤– ٧٩.

([٣٥]) المرجاني ، الموسوعة الميسرة ، ج٢ ، ص٧٩.

قائمة المصادر والمراجع

١– بخيت ، د.رجب محمد ابراهيم ، تاريخ المغول وسقوط بغداد ، ط١، النشر: مكتبة الايمان – المنصورة ، ٢٠١٠م – ١٤٣١هـ.

٢– الجواهري، د. عماد ، صراع القوى السياسية في المشرق العربي من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني ، طبع في مطابع التعليم العالي – الموصل ، بدون سنة نشر .

٣– حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، المجلد الرابع ، النشر والطبع : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون سنة نشر .

٤– حليم ، ابراهيم بك ، تاريخ الدولة العثمانية العليه ، ط١ ، بدون سنة نشر .

٥– المرجاني ، د. راعن ، الموسوعة الميسرة في التاريخ الاسلامي ، ج٢ ، مؤسسة أقرأ لنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠٠٧م.

٦- سليم ، محمود رزق ، عصر سلاطين المماليك ، ج٢ ، مطبعة المتوكل ، القاهرة ، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.

٧- شيادر ، د. عصام محمد ، السلاطين في المشرق العربي ودورهم السياسي والحضاري ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر – بيروت ١٩٩٤م.

٨- الصلابي ، د. علي محمد ، الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط ، ط١ ، دار المعرفة ، بيروت- لبنان ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.

٩- الصياد ،د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت- لبنان ، بدون سنة نشر .

١٠- طقوش ، د. محمد سهيل ، مغول القبيلة الذهبية والهند ، النشر : دار النفائس ، بيروت- لبنان ، ١٤٢٨ هـ.

١١- عاشور د. فايد حماد محمد ، الجهاد الاسلامي ضد الصليبيين والمغول في العصر المملوكي ، بدون سنة نشر .

١٢- العريني ، البيد الباز ، المغول ،دار النهضة العربية ، بيروت- لبنان ، بدن سنة نشر.

١٣- عبد الحكيم ، منصور ، تيمورلنك على صهوة جواد ، ط١ ، النشر: الكتاب العربي- دمشق ، ٢٠١٠م.

١٤- عبد السيد ، حكيم أمين ، قيام دولة المماليك الثانية ، النشر : الدار القومية- القاهرة ١٩٩٦م.

١٥- مولونيه ، رولان ، تاريخ الحضارات العام ، المجلد الرابع ، ط٢ ، نقله الى العربية يوسف اسعد داغر – فريدم- داغر ، منشورات كويدات ، بيروت-لبنان ، باريس ١٩٨٧م.

١٦- http:wwwkuwaltshr.com/rb/showthreadphp?=16622